

## واقع عربى مهين.. «حروب الإخوة» تحمى العدو وتضييع فلسطين والمستقبل!

طلال سلمان

يتبدى «الوطن العربى» اليوم «أرخيلا من الأشقاء - الأعداء»، وهو الذى كنا نتمثله حلما ونناضل من أجل تحقيقه واحداً موحداً بالوحدة بين أقطاره التى كانت فقيرة فصريتها الثروة الفاحشة من حيث لا تحتسب، وضربيها الغرور فاستدرجتها مصالح الغير، البعيد والمعادى غالباً، فإذا هي «دول عظمى» تستكبر على أشقائها الفقراء وتنصاعر حتى الذوبان فى «الكتار» من « أصحاب القرار الدولى».

إن الخليج، يتبدى أرخيلا من الخصومات والإشكالات والخلافات السياسية التى وصلت حد التلويج بالحرب، فضلاً عن مقاطعة وحملات تشهير ومحار قطر بواسطة السعودية والإمارات، فى حين التزمت سلطنة عُمان حيادها التاريخى واستعدادها الدائم للعب دور الوسيط بين العرب والعرب، والعرب والفرس (إيران) وإنجمالاً بين كل مختلفين!

ثم إن الإخوة الأغنياء قد ابتعدوا (حتى القطيعة أحياناً) عن الإخوة الفقراء.. بل إن هؤلاء الإخوة الأغنياء يتنافسون حتى الصدام فى الأقطار التى اختفت دولها (مثل ليبيا) أو التى أعزها الفقر (مثل السودان).

ويمكن أن تُروى حكايات مهينة عن محاولات بذلها الإخوة الأغنياء لإذلال دول كبرى وعريقة فى التاريخ العربى الذى لم يعرف دويلات الذهب، استغلاً لاحتاجتها إلى العملة الصعبة والنجدة الأخوية.. الأصعب! طبيعى والحالة هذه أن يتهاوى «استقلال» العديد من هذه الدول التى لولا النفط والغاز لما كان لها مبرر وجود.

الأخطر أن «العروة الوثقى» بين هذه الدول، قد يهمها مما لها الشرعية التاريخية، والجغرافية والبشرية، وحديثها الطارئ الذى استولده شروة خرافية غير متوقعة ولم يتبع أهلها فى بنائها، قد جرى تفكيكها وتباعدت أطراها حتى العداوة، فى حين أن بعض هذه «الدول» قد تطاول فتناول بالسوء الدول — الأم مثل مصر وسوريا والعراق واليمن.

تباعد «العرب» عن بعضهم البعض حتى العداء أحياناً.. وحالف بعض دولهم أعداء الأمة مثل إسرائيل ضد الأشقاء العرب.

ذلك ذهب الأغنياء بنفطهم وغازهم إلى الولايات المتحدة الأمريكية فاً فزير من فوق قصاً يا أمتهم وشعوبها وحقها في أرضها واستقلالها، والأخطر: حلم الوحدة، أو حتى التضامن تحت راية المؤسسة العجوز جامعة الدول العربية.

لقد أنكر عرب السلطة عروبتهم، ولا تنفع الكوفية والعقال والنسب الممتد عبر تاريخ السلطة في تمويه الحقيقة الجارحة، المتمثلة في العديد من المواقع والمواقف والتي بلغت أحياناً حد الاحتراز، أو تمويل وتسلیح العصابات المسلحة ضد بعضهم البعض، تحت شعار طائفى أو مذهبى (سنة ضد شيعة أو علوين أو مسيحيين، ربما كانوا أكثر عراقة في عروبتهم أو في انتماهم إلى الأرض العربية).

بل إن بعض هؤلاء قد تجاوزوا الأخلاق والانتماء القومي وصلات القرابة فحالفوا العدو الإسرائيلي ضد أهلهם. كما أن بعضهم الآخر قد تحالف ليحارب أعرق شعب عربي وبأن الحضارة الأولى في المشرق العربي، اليمن وجوعه وقصف مدنها وقرابها، وتسبب في انتشار الكوليرا في أرجائه، تلتهم أطفاله ونساءه.

الهاربون إلى العدو..

تفكك العرب حتى كادوا ينكرون أصولهم، وتنكروا لمصيرهم المشترك، وغلبوا النزعة الانفصالية على مصالحهم المشتركة، وهرب عرب الثروة من إخوتهم الفقراء، وضنو عليهم بالمساعدة بينما هم يتبعون نهب أموالهم من طرف «الأصدقاء الكبار» بالعنوان الأمريكي.

سقطت المعاهدات والمواثيق الجامدة، بما فيها المؤسسة العجوز (جامعة الدول العربية) التي أُفرغت من مضمونها وعطلت مهمتها، وتحولت إلى تكية للخطب الفارغة من المضمون، أو للعمليات الكيدية التي بلغت ذروتها «بطرد» عضو مؤسس لهذه الجامعة، هي دولة سوريا، منها.. وكانت الحملة بقيادة دولية لا يساوى عدد سكانها سكان صاحبة من ضواحي دمشق العريقة أو حلب الشهباء.

بل إن دولاً عربية قد أسهمت في إشعال حروب ذات طابع طائفى أو مذهبى في دول عربية أخرى، وهو ما عجز عنه العدو الإسرائيلي، فضلاً عن الاستعمار القديم.. ثم إن بعض هذه الدول ذهب إلى التحالف مع «الإمبريالية الأمريكية» ضد الأشقاء العرب.

ولطالما شهدنا الولايات المتحدة الأمريكية تتدخل «كوسبي» بين الأشقاء العرب، وتستدعى قيادات دولهم إلى واشنطن لبذل «مساعيها الحميدة» التي لا تفعل غير تعزيز النفوذ الأمريكي في دول المتخاصمين على حساب المصالح الوطنية والقومية.

وهكذا تحولت الدول العربية، تدريجياً، أقله بغالبيتها إلى «محميات» فقدت هويتها ودورها (وثروتها أحياناً)، بل تحولت تدريجياً إلى معاداة أشقاءها العرب، والاقتراب من العدو الإسرائيلي إلى حد «التحالف» معه تحت الراية الأمريكية.

لقد غدا الوطن العربي، خلافاً لما كان في التصور والتخمين، أرخبيلاً من الجزر المتخاصمة المتحاسدة،

التي لا تحفظ كرامة بعضها بعضاً.. ويكتفى أن نستذكر، هنا، حكاية احتجاز رئيس حكومة لبلد عربي في دولة عربية أخرى دعته سلطاتها لرحلة صيد، فأبقى رهن الاعتقال حتى توسط له رئيس دولة أوروبية (فرنسا) لإطلاق سراحه.

## الثروة × العروبة

عبر هذه التراجعات وإنكار الهوية والصدامات غير المبررة (لاسيما بين الأشقاء الأغنياء) تهاوت الروابط الجامعة، وأخطرها العروبة، والمصالح المشتركة، وتفرق العرب أشتاتاً، وتخاصموا، واستعدوا «الأغراي» على بعضهم البعض.

وللفرقة، في هذا الزمن تحديداً، نتائج خطيرة على العرب وقضاياهم ومصالحهم الحيوية، تكفي نظرة إلى ما أصاب القضية الفلسطينية، التي كانت ذات يوم مقدسة، والمعروضة الآن في بازار المزايدات والمناقصات، لنكتشف حجم التراجع العربي المهين.

لقد تجرأ الرئيس الأمريكي الأرعن دونالد ترامب على اتخاذ القرار الم Hein للعرب والذي تردد أسلافه في تنفيذه، وهو الاعتراف بالقدس عاصمة للكيان الصهيوني وال مباشرة بالعمل لنقل سفارته بلاده إليها، ضارباً عرض الحائط بالموافق العربية (وبين أسباب ضعفها أنها موافق وليس موقفاً موحداً) وقرارات الشرعية الدولية - الأمم المتحدة - حول تقسيم فلسطين إلى دولتين (وهو ما كان يرفضه العرب حين كانوا أمة واحدة، وما كان يرفضه الفلسطينيون أنفسهم عندما كانوا ثواراً) ..

ثم إن إدارته باشرت الإجراءات العملية لنقل السفارة فاختارت فندقاً يقع على بعض تلال القدس المحتلة ليكون مقرها لها.. دون أن تلقى الإدارة الأمريكية انتباها لموافقات الدول العربية (التي جاءت كالعادة، هذه الأيام) باردة وبلا تأثير عملي لأنها لا تعبّر عن المواقف الفعلية، ومعظمها متواطئ مع الإدارة الأمريكية، ومع العدو الإسرائيلي عبرها أو مباشرة.

الجديد في هذا المجال أن سلطات الاحتلال الإسرائيلي قررت، تماذياً في الاستهانة بالموافق العربية ومشاعر الفلسطينيين وحقوقهم، إقامة منتزهات داخل القدس الشرقية، على حساب أهلها الذين كانوا دائماً أهلها.

\* \* \*

لقد هان العرب على أنفسهم حتى ارتكبوا الذل، وعادوا — بمعظمهم — إلى أحضان الاستعمار الجديد.. خانعين!

وكلنا نتابع أخبار هجرة النخبة العربية من مختلف أقطار «الوطن» العربي (مصر، لبنان، العراق، فضلاً عن المهجريين السوريين والليبيين) إلى أقطار الغرب بعنوان أمريكا، أو أي بلاد قبلهم، ليعيشوا فيها، ولو بذل الحاجة ولبيبيعوا خبراتهم ومعارفهم إلى من كانوا في مرتبة العدو أو الخصم التاريخي. إن العرب يعيشون أبأس أيّاً منهم في ظل فرقتهم: ينكرون هويتهم أو يتنكرون لها، ويخاصمون بل يقاتلون

بعضهم بعضاً، وينشق أنجذبوا لهم عن فقراءهم، وبصالح بعضهم العدو الإسرائيلي الذي كان عدو الجميع، فإذا به يتحول إلى «حليف» لبعضهم ضد البعض الآخر.

وآخر تجليات العدو الإسرائيلي تمثل في الاعتداء المباشر والعلني على لبنان عبر الادعاء أن الحقول التي يتحمل وجود النفط فيها والواقعة في مياهه الإقليمية إنما تخوض كيان العدو الإسرائيلي وتتبع «مياه الإقليمية»، وهي مفتصبة أصلاً، والادعاء مزور وكاذب.

ولقد من هذا التهديد الإسرائيلي وسط صمت عربي مريب.. فمن يجرؤ على مواجهة العدو الإسرائيلي ودفع عدوانيه الجديد.

على أن لبنان، بدولته ومقاومته وشعبه، أعلن رفضه لهذا التهديد والعدوان على مياهه الإقليمية. وقد يما قيل: سنقاتل، سنقاتل... وسنرد كيد العدو إلى نحره..

لكن هذه كلمات من زمن مضى، ولم يعد ثمة مجال لاستذكارها، فضلاً عن العمل بمنطقها.. أقله حتى إشعار آخر!

\* طلال سلمان كاتب قومي مخضرم مؤسس ورئيس تحرير «السفير» الباريرونية.

المصدر | الشروق المصرية